أسطورة ياسر عرفات

شفيق ناظم الغبرا*

ياسر عرفات: الأب الروحي للمقاومة**

كنت في العشرين عندما التقيت عرفات للمرة الأولى. انتظرت مجيء كانون الأول / ديسمبر ١٩٧٣ بفارغ الصبر كي أترك الجامعة في الولايات المتحدة في إجازة أمضيها في بيروت. وقد دُعيت إلى دورة تدريبية وتثقيفية في إحدى قواعد ومعسكرات "فتح" في سورية بحضور ٢٠٠ من الطلبة والطالبات تقريباً.

وفي الليلة الختامية في المعسكر، فوجئنا برئيس منظمة التحرير ورئيس حركة "فتح" وقائد قوات العاصفة الجناح العسكري لـ "فتح"، ياسر عرفات، أمامنا. تجمّعنا كلنا في خيمة كبيرة تتسع لنا، وبدأ عرفات يتحدث بإسهاب، وكنت أقف في الصف الأول أمامه. تحدث عن انطلاقة حركة "فتح" وبدايات الكفاح المسلح في سنة ١٩٦٥، وعن القرارات الصعبة في بداية المسيرة، وعن حرب ١٩٦٧ وكيف انطلقت "فتح" بعد هزيمة الجيوش العربية معلنة الكفاح المسلح ضد الإحتلال الإسرائيلي. سرد لنا أحداث أعوام طوال من العمل الفدائي في الأردن، ثم العمل الفدائي في لبنان والمعارك في الجنوب اللبناني ضد إسرائيل، وخصوصاً مشاركة الفدائيين في جبهة الجنوب في حرب ١٩٧٣. تحدث بإيجابية عن حرب ١٩٧٣، ثم قال إن إسرائيل ستضطر إلى الإنسحاب من الأراضي المحتلة منذ سنة ١٩٦٧، وإن أي قطعة أرض من فلسطين تنسحب إسرائيل منها يجب أن يقام عليها دولة فلسطينية.

ارتفعت الحرارة في الخيمة بين الطلبة واستمرت في الارتفاع عندما قال: "أنا على استعداد لإرسال وحدات من جيش التحرير الفلسطيني لتسلّم مهماتها بعد انسحاب الجيش الإسرائيلي من الضفة الغربية وغزة." ثم أردف قائلاً: "أنا مستعد لإقامة دولة في أريحا، فكل قطعة أرض هي جزء من فلسطين ويجب تحمّل مسؤوليتها."

وقع الكلام علينا كالصاعقة. لقد حمل كل شاب وشابة في هذه الخيمة حلماً بالعودة

---

* أستاذ العلوم السياسية في جامعة الكويت.

** استُوحيت هذه المقالة من كتاب: شفيق الغبرا، "حياة غير آمنة: جيل الأحلام والإخفاقات" (بيروت: دار الساقي، ٢٠١٢).

إلى فلسطين المحررة، لكن عرفات بدأ يتحدث بواقعية تتناقض وذلك الحلم، كأنه يمهد لحلم أصغر يستوعب تغيّرات التاريخ ونتائج الهزائم، ولحل وسط لم يكن أي منا مستعداً لتقبله. لقد شعر أبو عمار من تمتمات الشبان ووجومهم ولغة أجسادهم بأنهم غير متقبلين لما يقول.

ثم قال: "هناك تسوية مقبلة نتيجة حرب ١٩٧٣، ولا يمكن أن تمر هذه التسوية ونحن ننظر إليها، هذه هي الطريقة الوحيدة لحماية حقوقنا، ولمنع تكرار ما وقع لنا في سنة ١٩٤٨ عندما ضم الملك عبدالله الضفة الغربية والقدس الشرقية إلى الأردن، وعندما أصبحت غزة تحت الحكم المصري بعد أن احتلت إسرائيل ٧٧٪ من فلسطين. يجب أن نكون موجودين على الأرض كي لا يحدث شيء على حسابنا. يجب أن نشارك لنحسّن فرصنا."

لم يعجب حديث عرفات معظم الشبان والشابات، وجرى نقاش شديد الوطأة في مشهد لـ "ديمقراطية البنادق" التي سادت حركة المقاومة الفلسطينية في ذلك الزمن من سبعينيات القرن العشرين. لم يقنع عرفات معظم الحاضرين، لكنهم استمعوا إليه كما استمع إليهم.

مثّل هذا الطرح بدايات تفكير عرفات في الحل الوسط، وفي تجربة طريق مختلفة بكل تعقيداتها ومصاعبها.

لقاء مع عرفات في الأمم المتحدة

لم أكن أعرف أنني سألتقي عرفات ثانية في سنة ١٩٧٤، لكني هذه المرة سألقاه في مكان غير متوقع. فقد نظّمت مع أصدقائي في الجامعة في جورج تاون حملة كبيرة للذهاب إلى نيويورك والقيام بتظاهرة لمناسبة مجيئه لإلقاء كلمة في الأمم المتحدة. فهذه زيارة عرفات الأولى للولايات المتحدة، وهو المصنّف "إرهابياً" في أميركا، وقد خرجت ضده وضد زيارته لمدينة نيويورك تظاهرة نظّمتها القوى المؤيدة لإسرائيل وتجاوز عدد المشاركين فيها نصف مليون شخص.

وعلى الرغم من عدم اقتناعي بطروحاته بشأن الدولة الفلسطينية في ذلك الوقت، فإن خروج هذا العدد من الناس ضده في نيويورك لأسباب تتعلق بما يمثّله تجاه الحقوق الفلسطينية، فرض علينا أن نخرج للترحيب به في نيويورك. لقد عملت جميع الدول العربية بإصرار على جعل عرفات يلقي كلمته في مبنى الأمم المتحدة في قاعة الجمعية العامة، وقد تحدث الرئيس اللبناني سليمان فرنجية، في لحظة تفاؤل لن تدوم، باسم العرب، مرحّباً بعرفات.

إن أهم ما قاله عرفات في ختام ذلك الخطاب التاريخي الذي كتبه الشاعر محمود درويش والمفكر إدوارد سعيد، أنه جاء إلى الأمم المتحدة حاملاً غصن الزيتون في يد والبندقية في يد، مطالباً العالم بعدم إسقاط غصن الزيتون من يده.

إن بعض المرونة التي أبدتها منظمة التحرير وأبداها عرفات في ذلك الوقت، بما فيها وقف الأعمال العسكرية التي تصيب أطرافاً ثالثة في أراضي دول أُخرى غير فلسطين، أصبحت سبباً رئيسياً في حينه في كسب الأصدقاء والحصول على كثير من الدعم الدولي في تلك المرحلة، بما فيها إدانة الأمم المتحدة للصهيونية والممارسات الإسرائيلية.

وبعدما ألقى عرفات كلمته، ذهبت مع أصدقائي إلى حفل الاستقبال الذي خُصص له.

في سنة ١٩٧٤ تبنّى عرفات، وتبنّت منظمة التحرير وبرلمانها في المنفى (المجلس الوطني) وحركة "فتح"، برنامجاً مرحلياً وخطّاً علنياً يدعو إلى الدولة الفلسطينية المستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة وعاصمتها القدس.

لكن من جهة أُخرى بدأ يتضح أن التسوية ليست قادمة، وذلك بسبب ضعف الحكومة الإسرائيلية وبداية ارتفاع شعبية اليمين الإسرائيلي جرّاء الهزة التي واجهتها إسرائيل في حرب ١٩٧٣. لقد شهدت سنة ١٩٧٤ سلسلة من العمليات الانتحارية الفلسطينية التي عبرت الحدود اللبنانية إلى فلسطين. وساد تلك السنة استعداد أكبر من جانب إسرائيل لقصف المخيمات الفلسطينية في لبنان بالطائرات الحربية. كما أن الاستيطان في القدس ومحيطها أصبح أكثر كثافة، واستمرت حركة المستوطنين في محاولة خلق وقائع تجعل الانسحاب من الضفة الغربية والقدس أقرب إلى المستحيل.

عرفات والحرب الأهلية اللبنانية

عانى عرفات في بداية الحرب الأهلية جرّاء تناقضين كبيرين هزا قاعدته اللبنانية وتحالفاته الإقليمية. فقد أراد من جهة أن يدعم الحركة الوطنية اللبنانية للمساعدة في وقف الحرب الأهلية التي انفجرت في أواسط نيسان / أبريل ١٩٧٥، لكنه كان يخشى في الوقت نفسه من قيام بعض حلفائه بتصعيد كبير يُفشل جهود الحل. ولهذا لم يكن مؤيداً لتفجير حرب واسعة في الداخل اللبناني في إثر حادثة مجزرة "باص عين الرمانة" التي قام بها حزب الكتائب.

ولم يكن عرفات من جهة أُخرى مؤيداً لشعار عزل حزب الكتائب وتجريده من السلاح، والذي رفعه حلفاؤه في الحركة الوطنية اللبنانية بقيادة زعيمها كمال جنبلاط، لأنه كان يعلم أن المسيحيين سيفسّرونه عزلاً لهم في المعادلة اللبنانية الصعبة والمعقدة. فبالنسبة إلى عرفات لم تكن المعركة الأساسية مع الكتائب، وإنما مع إسرائيل.

وتشهد مراحل الحرب الأهلية الأساسية على رفض عرفات حجج كثير من التيارات التي رأت أن الفرصة مواتية لهزيمة حزبَي الكتائب بقيادة بيار الجميل والأحرار بقيادة الرئيس السابق كميل شعمون، وما كان يُطلَق عليه الخط الانعزالي. لكن تفاعلات الحرب ستُخرج الأمور عن السيطرة وصولاً إلى التدخل السوري العسكري في لبنان في ربيع سنة ١٩٧٦، واندلاع معارك واسعة النطاق بين الجيش السوري وحلفائه من الكتائب والأحرار من طرف، وبين المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية من طرف آخر، الأمر الذي دفع الملك السعودي خالد بن عبد العزيز إلى الاجتماع بالرئيس حافظ الأسد والرئيس اللبناني الياس سركيس ورئيس منظمة التحرير ياسر عرفات، بحضور الرئيس المصري أنور السادات، في ١٦ تشرين الأول / أكتوبر ١٩٧٦، وهو اللقاء التاريخي الذي أوقف المعارك، وقاد إلى تسويات في غاية الأهمية.

لقد أعاد هذا اللقاء التفاهم بين الطرفين الفلسطيني والسوري، وأعاد تقسيم العمل جاعلاً المقاومة تعود في معظمها إلى الجنوب اللبناني، فتقوم بدورها الحقيقي ضد إسرائيل. لكن الأحداث ستؤكد أن شيئاً ما انكسر في العلاقة الفلسطينية ـ السورية جرّاء هذه الحرب،

وسيبقى الأمر كذلك فترة طويلة، وستكون العلاقة السورية ـ الفلسطينية بعد ذلك علاقة الضرورة لا علاقة التحالف والألفة السابقة.

كما أن سورية ستكتشف أن كل مَن تدخل في لبنان لن يحقق أهدافه بلا ثمن باهظ وصعب. لقد حققت سورية في هذه الحرب تقدماً كبيراً على صعيد العمليات العسكرية، لكنها ستفقد جزءاً كبيراً من التعاطف بين الدول والشعوب العربية المناصرة للقضية للفلسطينية، فضلاً عن أن الموقف السعودي والكويتي والخليجي سيكون متحفظاً على محاولة تفرّد سورية في لبنان، كما أن الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية هي الأُخرى غضبت جرّاء التدخل السوري ضد أنصارها في الحركة الوطنية اللبنانية والفلسطينية.

حركة "أمل" والقاعدة الشيعية في الجنوب

في أوائل سنة ١٩٧٧ ساد بعض التوتر بين المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية من جهة، وحركة "أمل" (أفواج المقاومة اللبنانية) من جهة أُخرى، ولا سيما بسبب وقوف الحركة، بقيادة السيد موسى الصدر، على الحياد خلال التدخل السوري في لبنان. لقد تأسست "أمل" بدعم كبير من حركة "فتح" في سنة ١٩٧٥، بل إن أحد أوائل شهداء السرية الطلابية التابعة لحركة "فتح"، مجاهد الضامن، وهو الشاب المتميز، استشهد بانفجار لغم وهو يدرّب عناصر "أمل" على القتال.

لكنّ حركة "أمل" تحولت إلى قوة للمسلمين الشيعة في ظل الحرب الطائفية في لبنان، وهذا سيكون على حساب القوى السياسية الأُخرى، وخصوصاً اليسارية الوطنية اللبنانية والفلسطينية، والتي ستبدأ بفقد عناصرها الشيعية لمصلحة حركة "أمل". فمنطق "أمل" قال بضرورة أن تؤدي الطائفة الشيعية دورها مثل أي طائفة أُخرى في التوازنات اللبنانية، الأمر الذي زاد التوترات مع الأحزاب اللبنانية اليسارية التي استندت إلى الشيعة بشكل أساسي في حضورها السياسي والعسكري.

أمّا موقف "فتح" فكان أقل حدّة تجاه "أمل" بحكم العلاقة الخاصة بين الإمام الصدر وعرفات، ومع ذلك توترت العلاقة في سنة ١٩٧٦، واستمر التوتر حتى كانون الثاني / يناير ١٩٧٧، عندما أنجزت حركة "أمل" مصالحة مقبولة مع جميع الأطراف اللبنانية والفلسطينية، وخصوصاً بعد المصالحة الفلسطينية ـ السورية، وأعلنت رغبتها في إرسال قواتها إلى جبهة الجنوب.

لقد أصبح الجنوب اللبناني منذ نهاية سنة ١٩٧٦، قاعدة مكثفة للعمل الفدائي للفصائل الفلسطينية وحلفائها، كما أن معارك الجنوب توسعت جغرافياً، ولا سيما عندما نجحت إسرائيل في بناء شريط أمني بعمق عدة كيلومترات داخل الأراضي اللبنانية بحراسة الضابطين اللبنانيين سعد حداد، ثم أنطوان لحد، اللذين أسست إسرائيل لهما جيشاً يعمل لمصلحتها. وتبع ذلك سلسلة من الاشتباكات المباشرة وعمليات القصف المدفعي والصاروخي بين الشريط الحدودي والمناطق التي توجد فيها الفصائل الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية، وبين هذه الأخيرة والأراضي الفلسطينية المحتلة.

في ظل هذا المناخ، كان اجتياح ١٩٧٨، أو ما عُرف بعملية الليطاني، واحداً من أشرس

المعارك التي استطاع عبرها الجيش الإسرائيلي الوصول إلى مشارف مدينة صور ومخيمات اللاجئين المحيطة بها، وقد خاضت المقاومة معارك كبرى في مدن مثل بنت جبيل ومارون الراس في مواجهة القوات الإسرائيلية المتقدمة. وفي تلك الحرب كان عرفات يدير غرفة العمليات ومعه قادته العسكريون. وانتهت الحرب بعد ٨ أيام بوقف لإطلاق النار والقرار الدولي ٤٢٥، وإيفاد قوة دولية تشرف على المنطقة العازلة بين المقاتلين الفلسطينيين والجيش الإسرائيلي.

لقاء ياسر عرفات تحت النار

بعد اجتياح إسرائيل في سنة ١٩٧٨ للجنوب اللبناني تغيرت الجبهات، وأصبحت جبهة الجنوب مفتوحة أمام العمليات الإسرائيلية البريّة الخاصة، أو تلك التي تقوم بها من الجو. لكن من جهة أُخرى، بقيت جبهة واحدة صامدة هي جبهة منطقة النبطية التي تزينها قلعة الشقيف، أو قلعة صلاح الدين.

وفي إحدى الليالي نفّذ لواء غولاني هجوماً مباغتاً على القلعة والمناطق المحيطة بها، ودارت معركة رئيسية على تلك المحاور. فطلب مني قائد كتيبة الجرمق معين الطاهر التوجه فوراً بقوة مقاتلة لتقدير الموقف، وتعزيز مواقع كتيبة بيت المقدس التابعة لحركة "فتح"، والتي وقع عليها الهجوم.

وفي أثناء وجودي في قلعة الشقيف، وتسلّم المواقع من الكتيبة التي هوجمت، والتي دفعت ثمناً باهظاً من الشهداء والجرحى بعد ليلة من القتال الضاري ضد لواء غولاني، جاءني اتصال مفاجئ يطلب مني ضرورة الحضور فوراً إلى مركز القيادة وسط مدينة النبطية.

ذهبت إلى قيادة كتيبة بيت المقدس في النبطية، وإذا بياسر عرفات أمامي ومعه حراسه وقائد الجنوب الحاج إسماعيل، وقائد كتيبة بيت المقدس علاء. وكان هذا أول لقاء لي بالقائد العام لقوات العاصفة ورئيس منظمة التحرير منذ أن التقيته في الأمم المتحدة في سنة ١٩٧٤ في أثناء دراستي في جامعة جورج تاون. سلّمت عليه من دون أن أعرف إن كان يتذكر لقاءنا الأول.

ألقى عرفات خلال اللقاء خطاباً لرفع المعنويات، وبدأ يرفع صوته كأن مناحم بيغن رئيس الحكومة الإسرائيلية معنا في الغرفة. وقال عرفات بنبرة خطابية عالية:

> إحنا صامدين. وأنا بقول لبيغن وللي وراء بيغن (ارتفع هنا صوت عرفات أكثر) إحنا صامدين في القلعة وباقين ولن يؤثر فينا، لا الفانتوم والـ "أف ١٦" ولا غيرو. وبقول لك (وهو يخاطبني مباشرة) القلعة مسؤوليتك الآن، إنت مسؤول عن هذا الموقع وهو أمانة في رقبتك، هذا الموقع اللي كان في يوم من الأيام قلعة صلاح الدين، هذا الموقع بعهدتك يا جهاد (الاسم الحركي لكاتب هذه السطور).
>
> وأنا بقول لبيغن إحنا أبناء شعب لا يتعب، إحنا الرقم الصعب (وارتفع صوته إلى أعلى درجة) يا بيغن جيب اللي عندك وجرّب كل اللي عندك، راح نواجه وراح ننتصر...

وإذا بصوت الطائرات الإسرائيلية يغطي على صوت عرفات، وبطائرات بيغن تمرّ فوق رؤوسنا على بعد أمتار قليلة فوق المنازل. أيقنّا بأن الطائرات ستغير على الموقع، وأن بيغن أراد الآن تصفية عرفات بعدما عرف أنه في النبطية. بدأت الطائرات تقصف النبطية ومحيطها، ولم يعد هناك مجال للخروج من المبنى، وبدا لي أننا سنُقتل جميعاً. لم يكن أمامنا سوى الانتظار. تساءلت هل سأموت إلى جانب عرفات في هذه اللحظات؟

صمت عرفات فجأة، وتبادلنا النظرات بصمت، وقلت له بابتسامة: "إنها غارة"، وصرخ مسؤول الأمن المرافق لعرفات: "لا أحد يتحرك الآن." نظر عرفات إليّ نظرة في غاية الهدوء، ولم يقل شيئاً. لم يكن خائفاً، ففي عينيه نظرات تحدّ وهدوء غريب، بينما الغارات تضرب مواقع قريبة منا لمدة زادت عن خمس دقائق بدت كأنها أعوام، ثم صرخ رئيس أمنه الشخصي فجأة "تحركوا"، فتحرك عرفات بسرعة البرق إلى خارج البناية وإلى خارج النبطية، أمّا أنا وكل مَن في المبنى فخرجنا راكضين وذهني مشغول بالوصول إلى المواقع والتأكد من أن الشبان بخير.

حصار بيروت

ستحاصَر القيادة الفلسطينية في بيروت، وستقرر خوض المعركة بقيادة عرفات وأبو جهاد وسعد صايل (أبو الوليد) القائد العسكري المحترف للقوات الفلسطينية، وستكون هذه المعركة أطول حرب يشهدها الصراع العربي ـ الإسرائيلي منذ حرب ١٩٤٨، وستسجَّل للمقاتل الفلسطيني واللبناني والعربي المنضوي ضمن مشروع المقاومة بسالة وإرادة نادرتان.

ستنتهي تلك الحرب بانتقال آلاف المقاتلين الفلسطينيين من جميع المنظمات الفلسطينية من بيروت المحاصرة، بعد اتفاق رعته الولايات المتحدة، إلى دول عدة، وإلى مناطق البقاع اللبناني حيث الوجود السوري الكثيف، وحيث لم تصل القوات الإسرائيلية. لقد أصبح الانسحاب هو السبيل الوحيد لمنع تدمير ما بقي من بيروت التي عاشت حرباً يومية على مدى ثلاثة أشهر متتالية.

لكن بعد الانسحاب من بيروت أصبحت المسافة أبعد عن حدود فلسطين، وأصبحت تونس المقر وليست بيروت أو بنت جبيل. لقد بدأت كل المعادلات تتغيّر، فلم يعد هناك قاعدة آمنة للانطلاق.

لكن عرفات سيعود ثانية إلى لبنان في سنة ١٩٨٣، لكن هذه المرة إلى طرابلس في شمال لبنان لحماية ما تبقّى من قواته من التدخل السوري والانشقاق في "فتح". وستدور معركة تستمر أشهراً في طرابلس بقيادة عرفات الذي عاد سراً من تونس عبر البحر إلى طرابلس، وستأتيهم الإمدادات، وسينجحون في حماية المقاومة الفلسطينية وأنفسهم في طرابلس من التصفية.

وسيكون أبو جهاد إلى جانب عرفات، وذلك بعد أن اغتيل الرجل الثالث في هرم القيادة العسكرية في منطقة البقاع العميد سعد صايل (أبو الوليد) قبل الاشتباكات بفترة قصيرة. وستنتهي معركة طرابلس بموافقة ياسر عرفات والمقاتلين على الخروج من طرابلس إلى تونس بواسطة سفينة عملاقة تحمل جميع المقاتلين وعائلاتهم. وبعد طرابلس سينتقل كل

منهم إلى شتات جديد في أمكنة متعددة في العالم العربي.

ربما لهذا تحديداً قرر عرفات في أثناء انتقاله في السفينة أن يتوقف في مصر كي يقابل الرئيس حسني مبارك. وكانت هذه أول مرة يلتقي فيها الرئيس مبارك مذ وقّع السادات ـ الذي اغتيل في سنة ١٩٨١ ـ اتفاق كامب ديفيد. كانت هذه الزيارة لمصر إشارة إلى محاولة عرفات البحث عن طريق جديدة بعد بيروت والبقاع وطرابلس وعشرات معارك التصفية والإبادة.

في هذا التاريخ نرى كم من القوى تجمعت ضد إرادة حركة التحرر الفلسطيني والعربي. فالحركة التي قادها عرفات كانت تقاتل أحد أكثر الأعداء ذكاء وقدرة على التخطيط والتفكير الاستراتيجي، لكنها كانت تقاتل في ظل أوضاع صعبة في عالم عربي منقسم على نفسه وغارق في مشكلاته.

القيادة التي أمّنها عرفات للعمل الفلسطيني ستتبنى الانتفاضة الفلسطينية التي ستندلع في سنة ١٩٨٧، لكن عرفات سيفقد ساعده الأيمن والشجاع أبو جهاد غيلة على يد الموساد الإسرائيلي، في ١٦ نيسان / أبريل ٢٠٠٨.

وعندما يغزو صدام حسين الأراضي الكويتية سيكون عرفات في أضعف موقف له، وموقفه في تلك المرحلة لن يكون خير تعبير عن حقيقته، إذ سيجد نفسه في موقف اللاموقف، مع حل عربي في زمن مختلف، الأمر الذي سيكشف ظهره وسيدفعه بعد حرب ١٩٩٠ ـ ١٩٩١ إلى القبول بشيء لم يكن ليقبل به في ظروف سابقة: إنه "اتفاق أوسلو". كان قبوله الاتفاق مشروطاً بتحقيق تقدّم، وعندما لم يحدث التقدم أعطى الإشارة للانتفاضة الثانية التي انتهت بحصار الجيش الإسرائيلي له في مقر قيادته في رام الله في سنة ٢٠٠٢، واستشهاده في ظروف غامضة في سنة ٢٠٠٤.

لكن التاريخ سيسجل بين ثناياه أن عرفات كان القائد الذي عاد إلى الوطن، والذي نجح في انتزاع حق العودة له ولجميع المقاتلين والفدائيين في الشتات، كما سيسجل التاريخ أن هذه العودة أسست لشيء جديد، وأنه من دونها لم تضطر إسرائيل إلى الانسحاب من بعض المناطق، وخصوصاً من غزة.

كانت قيادة عرفات تجمع بين النظامية والعفوية؛ بين التخطيط وسرعة اتخاذ القرار. كان يقود منظمة كبيرة تراجعت قدراتها التنظيمية مع الزمن وخسرت خيرة قادتها مع الوقت، فلو ذكرنا عدد من قُتل من قادة "فتح" وكادرها القيادي والوسيط لوجدنا أن هذه المؤسسة العريقة أُدميت وأصبحت مكشوفة أمام عدو لم يترك طريقة إلاّ واستخدمها في محاولة ضربها: حروب ومجازر؛ معارك ومواجهات؛ احتلال وموت. هذه هي مسيرة "فتح" وعرفات منذ بداية الثورة في سنة ١٩٦٥، ولهذا تحول إلى رمز لزمن وقائد تاريخي يجسد فكر المقاومة في فلسطين بكل تنوعاتها، وصولاً إلى صمود غزة في حرب ٢٠١٤. وعندما يتم الوصول في أحد الأيام إلى حق الفلسطينيين في تقرير المصير والعودة والحرية، سيكون عرفات حاضراً بصفته الأب الروحي للمقاومة في ظل أوضاع قاهرة وغير مواتية. ■